

## ◀ لبنان السهل الممتنع

- تتمة المنشور في الصفحة ١ -

هذا الالتباس عند قادة العدو حول مآل مقاومتهم النهائي ورقة اساسية للضغط عليه وارباكها، ناهيك ان ذلك الالتباس من شأنه ايضا ان يحافظ على وحدة صفوفهم وعلى الدعم الخارجي الذي ما انفكوا ينهلون منه، من ايران وغيرها.

والاسرائيليون يعلمون ثالثا ان مصير المتعاونين معهم من ابناء الجنوب اللبناني يختلف تماما وفق الطريقة التي تنسحب اسرائيل بموجبها من الجنوب. فاذا كان انسحابها نتيجة اتفاق، وإن محدود الاهداف (اي اقل من معاهدة سلام بكل معنى الكلمة) لتمكنت اسرائيل في الارجح من ازاحة ثقل هم مصير اكثرية المتعاونين عن نفسها، من خلال اقناع لبنان بالتسامح معهم والعتو عن خطيئتهم وربما تسهيل هجرتهم الى ديار الله الواسعة، مع الاهتمام فقط بمستقبل نحو عشرة من قادة "جيش لبنان الجنوبي" يسهل تدبير أمرهم اذا كانت قاعدة الجيش المذكور قد لاقت حلا لبنانيا مقبولاً. اما الانسحاب من جانب واحد فهو يرتب نتائج مختلفة جوهرية إذ ينتج عنه بالضرورة هلع شامل في اوساط المتعاونين، قد يحملهم على النزوح الجماعي في عقب المحتل المنسحب، ولن تستطيع اسرائيل آنذاك التخلي عنهم لئلا تسجل على نفسها سابقة اخرى خطيرة في التخلي عن من يقرر بين العرب التعاون معها. واذا كانت الابعاء المالية لسيناريو كهذا ليست بالضئيلة، فان آثاره السياسية سيئة الى اقصى الحدود.

ويعلم الاسرائيليون رابعا ان من مصلحتهم ان يصدقوا قول المسؤولين اللبنانيين الذين يرددون منذ مزديد انه في حال انسحاب اسرائيل من الجنوب فان الجيش اللبناني جاهز ومستعد للانتشار في منطقة الشريط المحتل ولمنع أي "رمية حجر عبر الحدود الدولية" كما قال الرئيس اللبناني في اكثر من مناسبة. يريد الاسرائيليون طبعاً ان يصدقوا هذا الكلام، ولكنهم يشكون، لأكثر من سبب تقني وسياسي، بقدرته لبنان على تنفيذه. ومهما يكن الامر فهم في الارجح يقدرون ان انسحاب اسرائيل من جانب واحد من شأنه (كما حصل في الشوف والاقليم والشحار الغربي) ان يجعل انتشار الجيش اللبناني اكثر صعوبة بكثير. قد لا تكون لدى اسرائيل اليوم النيات الشريفة ضد الدولة اللبنانية التي كانت تحركها عام ١٩٨٣، ولكن لا مصلحة لها في أن ينتشر مقاتلو "حزب الله" وفئات المقاومة الاخرى على طول حدودها الشمالية. وهي في الارجح تقدر ان هذا السيناريو سيصبح محتملاً في حال انسحابها المنفرد دون اتفاق مسبق مع الحكومة اللبنانية.

### \*\*\*

لهذه الاسباب كلها، تحاول اسرائيل، حكومة ورأياً عاماً، اسكات الاصوات الهلعة الداعية لانسحاب منفرد من لبنان، وتوسع بالتالي، وستظل تسعى في الاسابيع والأشهر المقبلة الى ممارسة ضغوط على لبنان وسوريا من خلال مشروع "لبنان اولاً" او عبر افكار بديلة نستسمح هذه الكثير بعد زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلي الى واشنطن. واصطدمت عنهما المساعي الاسرائيلية - وان تفنكت تصطدم - بقرار لبناني واضح يرفض اي شيء قد ينتهي الى "فك الترابط بين المسارين السوري واللبناني"، وهو هدف يعلم العاقلون من اللبنانيين انهم عاجزون عن المساس به، لأسباب سياسية وأمنية واضحة، دون تعريض سلمهم الاهلي لأكبر الأخطار. واذا كان هذا الموقف اللبناني المبني على مزيج من الاقتناع والواقعية، يثير "كوابيس" عند رئيس حكومة اسرائيل كما صرح في ايلول الماضي، أخذاً على لبنان عدم هروئته للاستفادة من العرض الاسرائيلي بالانسحاب، فما عليه الا ان يتعود على جيرة تلك الكوابيس، لأنه من الصعب تماماً ان تتغير المواقف اللبنانية من هذه المسألة في الظروف السياسية الراهنة.

فالمثلث اللبناني - السوري - الاسرائيلي باق في الارجح على حاله، مهما حصل في الملفات التفاوضية الاخرى، ومهما كان شأن "الافكار" الصادرة عن اسرائيل، ولا يمكن هذه الحال ان تتغير الا في ظروف اقليمية تختلف جوهرية عن تلك السائدة الحالية، كمثل نشوب حرب اقليمية واسعة او كمثل تواصل اسرائيل وسوريا الى معاهدة سلام شاملة، ولكلا الامرين تأثير ضخم بالضرورة على تركيبة المثلث المذكور.

وبالنظر الى ضعف احتمال تحقق اي من هذين الامرين (على رغم احتمال عودة سوريا واسرائيل الى طاولة المفاوضات خلال الربيع او الصيف المقبلين)، ستبقى الامور على حالها، الا اذا تمكنت الاسرة الدولية من ابتداء مشروع وسيط يسمح لاسرائيل بالانسحاب من جنوب لبنان مع تقديم الضمانات الكافية لسوريا بأن انسحابها اسرائيلياً كهذا لن يعرض موقفها التفاوضي الهادف (عن حق) الى استعادة الجولان حتى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧، لأي ضعف او وهن. ويبدو ان افكارا كهذه يتم تداولها اليوم في غير عاصمة كبرى، بل ان استلهاها لسابقة الانسحاب الاسرائيلي الاول من سيناء (أي غداة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦) بضغط من جاري تلك المرحلة، هو جار اليوم في غير "ورشة تفكير". وفي انتظار عودة المفاوضات الى مبنى واي بلاتيتشواين في ميريلاند، الانيق والمريح، وتفتق خيال الدبلوماسيين عن افكار مقبولة لمختلف الاطراف، سيبقى لبنان على همه الجنوبي، وسوريا على مبادئها ... وتتناهوا على كوابيسه.

غسان سلامة

"الليكود"، دعا الى ذلك صراحة قبل الحادث وبعده. وخرج النائب يوسي بيلين (وهو طفل بيريس المدلل) من اجتماع نيابي خاص بلبنان يوم الاحد الماضي ليقول ان المسألة ليست في انسحاب يجب ان يتم بل في توقيته وفي الوسائل الآيلة لجعل الرأي العام الاسرائيلي يقبل به. وتلقى هذه المواقف مع تحليلات توصل اليها عدد كبير من الخبراء الاسرائيليين وعبروا عنها علناً بعد مجزرة قانا في الربيع الماضي. ولا ريب في ان شخصاً مثل نتنياهو وعد الاسرائيليين بـ "الامن قبل السلام"، لا يستطيع ادارة الاذن الصماء لهذه المواقف رغم دعواته المتكررة للطبقة السياسية الى عدم اثاره هذا الموضوع على صفحات الجرائد لئلا تصاب الاستراتيجية الاسرائيلية الخاصة بجنوب لبنان بالضعف من جراء اطلاق خصوم اسرائيل عليها قبل الشروع في تبنيها. ومن الطبيعي تماماً ان يحاول صاحب مشروع "لبنان اولاً" ابقاء المسألة داخل الجدران المقفلة، اذ ان التعبير المتكرر عن الخلافات بين السياسيين او احتكامهم الى الرأي العام الاسرائيلي من شأنهما تضيق هامش مناوئته، ان في مجال تسويق سياسة "لبنان اولاً" او في مجال البحث عن سياسة بديلة منها.

### \*\*\*

غير ان هذا التناقض بين الرفض الشعبي لانسحاب والبحث الرسمي فيه ليس الا ظاهرياً، ذلك ان الاكثرية عندها من الاسرائيليين المعارضة لانسحاب من جانب واحد، تؤيد في الارجح اتفاقاً مع لبنان يتضمن انسحاب اسرائيلياً من جنوبه. ذلك ان جوهر الموضوع لم يعد الانسحاب نفسه (وهو أمر قبل به الاسرائيليون على مختلف نزعاتهم) وتعهد به جميعهم، وهم فيهم "الصقر" اسحق شامير خلال مؤتمر مدريد. وكان اسحق رابين قد قبل بالمبدأ بدوره عندما سرب في اتجاه دمشق وبيروت مع مشروع المسمى "٢+٢" القاضي بوقف النار لفترة يليه انسحاب اسرائيلي. ويعتقد الاميركيون ان نتنياهو قام في الصيف الماضي بخطوة اضافية، بل بتنازل مهم في اتجاه دمشق، عندما اطلق شعار "لبنان اولاً" ذلك انه ربط الانسحاب الاسرائيلي آنذاك باتفاق آمني مع لبنان، متنازلاً عن شرط توقيع معاهدة سلام يعلم هو تماماً ان لبنان لن يفاوض عليها الا بالتزامن والتنسيق مع سوريا.

أما رفض الانسحاب من جانب واحد، وهو الرأي الطائفي في الحكومة الحالية، وفي الكنيست وفي الرأي العام على السواء (يبدو لي انه ليس طائفاً بالوضوح نفسه بين الخبراء والمحللين)، فمرده الى جملة من الاسباب العميقة:

فالاسرائيليون لا يريدون اولاً ان يسجلوا على انفسهم سابقة الانسحاب من ارض محتلة تحت ضغط خصومهم دون اي مقابل، وهم يقدرون، واعتقد انهم مصيبون تماماً في ذلك، ان لسابقة كهذه آثاراً سيئة للغاية على موقعهم التفاوضي اللاحق مع سوريا فيما يخص الجولان وخصوصاً مع الفلسطينيين فيما يخص الوضع النهائي للأراضي الفلسطينية المحتلة. ويكفينا جميعاً ان نتصور موقفاً سوريا وفلسطينياً اكثر تشدداً في حال تمكن طرف عربي واحد (هو لبنان) من انتزاع انسحاب اسرائيلي غير مفاوض عليه وغير مشروع، بل ان اصواتاً فلسطينية كثيرة من مناهضي ياسر عرفات، وربما بين مؤيديه أيضاً، سيعتبرون انسحاباً كهذا مثالياً ينبغي احتداؤه، او في الاقل استلهاه في ما يلي من مفاوضات صعبة للغاية مع المحتل.

والاسرائيليون عاجزون ثانياً عن فهم كنه المقاومة العاملة في جنوب لبنان، بل ان سؤالاً مؤرقاً ما انفك يلازمهم منذ بدء عمليات "حزب الله" ضدهم عام ١٩٨٢: ماذا يريد هؤلاء؟ هل هم في الاساس وظيفيون لبنانيون يعملون لتحرير جزء محتل من بلادهم أم انهم طليعة ونواة لتيار اصولي اقليمي يبدأ في طهران وينتهي في الجزائر، أخذ على نفسه مشروع "تحرير فلسطين من الماء حتى الماء"، وبالتالي تدمير اسرائيل نفسها، وهو مشروع تخلت عنه التيارات الوطنية والقومية، وتلقفته الجماعات الاصولية؟ فاذا كانت الصفة "اللبنانية" هي الطاغية على مسلك "حزب الله" تصور الاسرائيليون امكان توقف العمليات ضدهم غداة انسحابهم من الجنوب اللبناني. أما اذا كانت الايديولوجيا الدينية هي العنصر المحرك الاساسي لهم، استنتج الاسرائيليون ان تمكن المقاومة اللبنانية، بعنصرها الاصولي الاكثري، من طردهم من الجنوب، لن يكون الا مقدمة لمزيد من العمليات الجريئة ضدهم داخل كيانهم. اما الاسئلة الاساسية: هل بنت جليل هي الهدف، أم القدس وياقافاً؟ فهو باق دون جواب. ذلك ان هوية "حزب الله" ملتبسة جداً في المنظار الاسرائيلي، وتزبد في التباسها تصريحات متناقضة صادرة عن قادة التيار الاصولي في لبنان الذين يعتبرون (عن حق) ان ابقاء



# لبنان السهل الممتنع

## بقلم غسان سلامه

في ظاهر الأمور، لم يغير حادث المروحيتين الاسرائيليتين شيئاً من رأي الاسرائيليين، إذ ان اكثرية واضحة منهم كانت، قبل الحادث، ترفض مبدأ الانسحاب من جانب واحد من جنوب لبنان. ولم يتبدل هذا الرأي الغالب بعد الحادث، بل ان الاكثرية الواضحة أصبحت كاسحة. ويمكن القول، من خلال مقارنة عشرات استطلاعات الرأي الاسرائيلية، انه ينذر تماماً ان تتكون اكثرية داخل الرأي اليهودي بمثل وضوح تلك المتعلقة بالانسحاب من جنوب لبنان. بل ان امورا أكبر وأهم مثل قيام دولة فلسطينية او مثل انسحاب من هضبة الجولان (وهي أهم بأشواط من جنوب لبنان ان لأسباب استراتيجية أو لأسباب مائية) تثير انقساماً في الرأي الاسرائيلي أعمق وأوضح.

ويزداد الامر اثاراً للانتباه عندما نقارن شبه الاجماع الشعبي (في استطلاع الامس عبر ٨٠ في المئة من الاسرائيليين اليهود عن رفضهم اي انسحاب من جانب واحد من لبنان)، بما يعتمل داخل الطبقة السياسية الاسرائيلية نفسها من استعدادات صريحة للانسحاب من منطقة بات الاعلام الاسرائيلي يطلق عليها اسم "فيتنام اسرائيل". ف "لجنة لبنان" تلاحق السياسيين الاسرائيليين منذ نحو عقدين دون توقف. فمتاحيم بيغن مات "بحرقه لبنان" المتأنية عن فشل غزوه عام ١٩٨٢، وارييل شارون لاحقته مجزرة صبرا وشاتيلا وما زالت، ورايين فشل في تحويل جنوبنا الى نوع من "المزبلة البشيرية" يبعد اليها من شاء من المنتفضين الفلسطينيين إذ أرغمه قرار مجلس الامن ٧٩٩ على اعادتهم الى وطنهم، وما جنى شمعون بيريس من "عناقيد الغضب" التي اطلقها الا حصرما انتخابياً قضي على أحلامه الانتخابية وعلى اوهامه الشرق اوسطية معا.

وما ان تنتياهو يتهماً للمذاق المر عينه. بل انه اصيب في عملية كان يتهماً لها قبل ان تبدأ. ذلك ان النسبة العالية من الضباط داخل المروحيتين واستعمال المروحيات في ظروف من الانقشاع الضعيف، وكون جنوب لبنان مشتغلاً يومها، كلها عناصر تشير الى ان المروحيتين لم تكونا تقومان بعملية تبديل روتينية داخل جيش الاحتلال، بل انها كانت تشارك في الأرجح في عملية كوماندوس ماتت في مهدها. واذا كان الرأي العام الاسرائيلي قد اعتاد في السنوات الماضية على رصيد سلبي يراوح بين ٢٥ و ٣٠ عسكرياً يقتلون سنوياً في لبنان، فانه سيصدم بالرصيد الذي ينتظره في آخر السنة الجارية، ان بسبب اصطدام المروحيتين او بسبب التحسن النوعي المطرد في أداء المقاومين اللبنانيين. وليس ضرباً بالرمل توقع ان يتجاوز الرقم المئة وأكثر من الاسرائيليين الذين قتلوا في لبنان او بسببه هذه السنة، وهو رقم كبير جداً مقارنة بالماضي وبما يمكن الرأي الاسرائيلي قبوله.

لذا يخالف عدد من القادة الاسرائيليين الاتجاه الشعبي بالتحدث عن امكان الانسحاب من الجنوب. بل ان الوزير كهلاني، وهو عمالي التحق بصفوف